

شَلَشِيَّةُ أُطْفَالِ الْجِمَارَةِ



نزار قتيبي

الغلاف والرسوم الداخلية
للفنان الشهيد
ناجي العلي



شُلاشيَّة أطفال الحجارة

حقوق الملكية الفنية محفوظة

الطبعة الأولى

آذار (مارس)

١٩٨٨

منشورات نزار فتباي

بيروت - لبنان

مرب ٦٢٥٠

نزار قباني

شُلاشيُّ
أطفالِ الحِجَابَةِ

م

مدخل

هذه القصائد الثلاث ، كتبها أطفال الحجارة ، بأصابعهم الصغيرة ، النحيلة ، الدامية .. ولم أكتبها أنا ..

هُمْ الَّذِينَ كَتَبُوا ..

وَهُمُ الَّذِينَ أَلْفُوا ..

وَهُمُ الَّذِينَ نَزَفُوا ..

وَهُمُ الَّذِينَ أَمَرُونِي ، فَأَطَعْتُ ..

وَحَرَّضُونِي فَصَرَخْتُ ..

في كثيرٍ من الأحيان ، يتوهمُ الشاعرُ أنه سيّدُ النصِّ الذي يكتبه ، في حين أن دوره الحقيقي في عملية الكتابة ، لا يتعدّى دورَ الممثل الذي يعيد كلمات الملقّن ، ودورَ الأجير الذي يطيع أوامر سيّده ...

ولا بدُّ لنا من الاعتراف ، أن أسيادنا ، وأسياد الأدب العربي
 في هذه المرحلة ، هم أطفال الحجارة .
 فهم الذين بعثوا أوراقنا . . ودلّقوا الجبر على ثيابنا . .
 وانتهكوا عُذْرِيَّةَ نصوصنا القديمة . . وطرَدونا من وراء مكاتبنا
 المكَيَّفَةِ الهواء . . .
 ثم لا بدُّ لنا من الاعتراف - وإن كان الاعتراف موجعاً - أن
 أطفال الحجارة (بهدلونا) . . نحنُ الكُتَّابُ العرب الذين كنا
 نتصوّر أنفسنا آلهةً تمشي على الورق . . وملوكاً لا تغيب
 الشمسُ عن قصائدهم . .
 نحنُ ، لسنا في الحقيقة ، أكثر من ملوك من ورق . . كلماتهم
 من ورق . . وأحلامهم من ورق . . وقصائدهم من ورق . .
 أما الملوك الحقيقيون ، فهم هؤلاء الذين كتبوا بمشتقات
 الدم . . وحبر الحرية . . وجعلوا لغةَ الحجر لغةً دوليةً تتكلمها
 كلُّ شعوب العالم .

من هُم أطفال الحجارة ؟

ماذا فعلوا بلغتنا ، بكلامنا ، بتعابيرنا ، بمفرداتنا ، بشعرنا
بنثرنا ، بذاكرتنا البلاغية ، بخطابنا الشعري اليومي والمألوف ؟
أهمُّ ما في أطفال الحجارة أنهم قاموا بانقلابٍ في ذاكرتنا
الشعرية واللغوية والقومية والثقافية ، وأحدثوا (خَصَّةً) في دورتنا
الدمويَّة .

قَبْلَهُم ، كُنَّا في حالة غيبوبة ، فرشُّونا بخراطيم المياه ،
وأخرجونا من غرفة العناية الفائقة .

قَبْلَهُم ، كان الشارعُ العربيَّ بارداً كالأسماك المجلدة . .
فأعادوا إلى أطرافنا الدفء والحرارة . .

قَبْلَهُم ، كُنَّا يتامى . . وجاؤوا هُم ، فأعطونا هويةً وانتماءً ،
وأعادوا إلينا أسماءنا العربيَّة .

*

أهمُّ ما في أطفال الحجارة :
أنهم حملوا إلينا المطرَ . . بعد عصورٍ من العطش .
وحملوا إلينا الشمسَ . . بعد عصورٍ من الظلام .
وحملوا إلينا الأملَ . . بعد عصورٍ من الإحباط والإنكسار .
أهمُّ ما فيهم أنهم خرجوا على (سلطاننا الأبوية) . .
وفرَّوا من (بيت الطاعة) . . وخالفوا أوامرنا ووصايانا ،
وقرروا أن يحكُّوا جلودهم بأظافرهم . .
أهمُّ ما فيهم ، أنهم لا يُشبهوننا ولا نُشبههم . .
- وهذا من حسن حظِّهم - وقرَّروا أن يقاتلوا على طريقتهم ،
ويعيشوا على طريقتهم . . ويموتوا على طريقتهم . .

أهمّ ما في أطفال الحجارة :
أنهم قلبوا الشاحنة التي كانت تسير بسرعة عشرة أمتار كلّ
أربعين سنة . . والتي كانت تسير على حطب الصبر . واستبدلوها
بطائرة كونكورد تطير على نار الغضب . . .

*

لقد ألغى أطفال الحجارة ، إجازات كلّ الشعراء العرب ،
وأجبروهم على أن يلبسوا الملابس المرقّعة . . ويلتحقوا بالجهة
فوراً . . .
أنا شخصياً ، قطعتُ إجازتي في سويسرا ، والتحقْتُ
بصفوفهم .

لم يكن عندي خيار آخر . .
كان عليّ أن أكون معهم .
أو أن أكون ضدّ الشعر . .

*

إن الحجر الفلسطينيّ نسفَ إمارة الشعر من جذورها ، وصار هو أمير الشعراء بلا منازع .

فالحجر الفلسطيني لم يكسر زجاج البيت الإسرائيلي فقط . . وإنما كسر أيضاً زجاج القصيدة العربية ، ووضعها أمام الأمر الواقع ، وغير هويّتها ، وخصائصها ، وملامحها الخارجية والداخلية .

*

إنني أعتقد أن أطفال الحجارة ، نقلوا الشعر العربي من حالٍ إلى حال ، ومن مرحلة إلى مرحلة .

كما أعتقد أنهم أدخلوا الشعر العربي إلى حدائِه من نوعٍ جديد ، هي حدائِه المعاناة والواقعية الثورية ، لا حدائِه الغموض ، والتغريب ، والدهاليز الباطنيّة .

وهكذا . . . أسقط أطفال الحجارة - من جملة ما أسقطوا - الخطاب الشعري القديم ، إلى جانب الخطاب السياسي القديم ، وفتحوا أمامنا أبواب الثورة . . والحرية . . والحدائِه على مصراعيها .

جنيف ١٠ آذار (مارس) ١٩٨٨

أطفالُ المحبّة

بَهَرُوا الدُّنْيَا
 وَمَا فِي يَدِهِمْ إِلَّا الْحِجَارَةُ . .
 وَأَضَاءُوا كَالْقَنَادِيلِ ،
 وَجَاءُوا كَالْبِشَارَةِ .
 قَاوَمُوا . .
 وَانْفَجَرُوا . .
 وَاسْتَشْهَدُوا . .
 وَبَقِينَا دُبَّاءَ قُطَيْبَةً
 صُفِّحَتْ أَجْسَادُهَا ضِدَّ الْحَرَارَةِ

قَاتِلُوا عَنَّا . .
 إِلَى أَنْ قُتِلُوا .
 وَبَقِينَا فِي مَقَاهِينَا
 كَبْصَاقِ الْمَحَارَةِ . . .
 وَاحِدٌ . .
 يَبْحَثُ مِنَّا عَنْ تَجَارَةِ
 وَاحِدٍ . .
 يَطْلُبُ مِلْيَاراً جَدِيداً
 وَزَوْجاً رَابِعاً . .
 وَنُهُوداً صَقَلْتُهُنَّ الْحَضَارَةُ . .



واحدٌ ..

يبحثُ في لندنَ عن قصرٍ مُنيفٍ

واحدٌ ..

يعملُ سِمَسَارَ سلاحٍ ..

واحدٌ ..

يطلبُ في (الباراتِ) ثارَه ..

واحدٌ ..

يبحثُ عن عَرْشٍ .. وجيشٍ ..

وإِمَارَه ..

*

آه .. يا جيلَ الخياناتِ ..
 ويا جيلَ العُمُولَاتِ ..
 ويا جيلَ النِّفَايَاتِ ..
 ويا جيلَ الدَّعَارَةِ ..
 سوفَ يَجْتَاحُكَ - مهما أبطأ التاريخُ -
 أطفالُ الحجارةِ ...

الفكاضبون

يا تلاميذ غَزَّة ...

عَلِّمُونَا ..

بعض ما عندكم

فنحنُ نسينَا ...

عَلِّمُونَا ..

بأن نكونَ رجالاً

فلدينا الرجالُ ..

صارُوا عَجِينَا ..

عَلِّمُونَا ..

كَيْفَ الْحَجَارَةُ تَغْدُو

بَيْنَ أَيْدِي الْأَطْفَالِ ،

مَا سَأَ ثَمِينًا ..

كَيْفَ تَغْدُو

دَرَّاجَةُ الْوَحْدَانِ ، لُغْمًا

وَشَرِيطُ الْحَرِيرِ ..

يَغْدُو كَمِينًا ..

كَيْفَ مَصَّاصَةُ الْحَلِيبِ ..

إِذَا مَا اعْتَقَلُوهَا

تَحَوَّلَتْ سِكِّينًا



يا تلاميذَ غَزَّةَ
لا تُبَالُوا ..
بإذاعاتنا ..
ولا تسمعونَا ..

إضربُوا ..
إضربُوا ...
بكلِّ قواكُم
واخزِمُوا أمرَكُم
ولا تسألُونَا ..

نَحْنُ أَهْلُ الْحِسَابِ ..
وَالْجَمْعِ ..
وَالطَّرْحِ ..
فَخَوْضُوا حُرُوبَكُمْ
وَأَتْرَكُونَا ..

إِنَّا الْهَارِبُونَ
مِنْ خِدْمَةِ الْجَيْشِ ،
فَهَاتُوا حِبَالَكُمْ
وَاشْنُقُونَا ...

نحنُ مَوْتَى ..
لا يَمْلِكُونَ ضَرِيحاً
وَيَتَامَى ..
لا يَمْلِكُونَ عُيُوناً
قد لَزِمْنَا حُجُورَنَا ..
وطلبنا مِنْكُمْ
أَنْ تَقَاتِلُوا التَّنِينَ ..
قد صَغُرْنَا ، أَمَامَكُمْ
أَلْفَ قَرْنٍ ..
وَكَبُرْتُمْ
- خِلَالَ شَهْرٍ - قُرُوناً ..

يا تلاميذَ غَزَّةٍ ..
لا تَعُودُوا ..
لكتابَاتِنَا .. ولا تَقْرَأُوا

نحنُ آباؤُكُمْ ..
فلا تُشَبِّهُونا ..
نحنُ أصنامُكُمْ ..
فلا تَعْبُدُونَا ..

نتعاطى
القاتَ السياسيَّ ..
والقَمَمَ ..
ونَبِّئُنا مقابراً ..
وسُجُوناً ..

حَرِّرُونَا ..
مِنْ عُقْدَةِ الْخَوْفِ فِيْنَا ..
وَاطْرُدُوا
مِنْ رُؤُوسِنَا الْأَفْيُونَا ..

عَلِّمُونَا ..
فَنَنْتَشِبُّ بِالْأَرْضِ ،
وَلَا تَتْرَكُونَا ..
الْمَسِيحَ حَزِينَا ..



يا أحبَّاءنا الصغار ..

سلاماً ..

جعلَ اللهُ يومَكُمْ

ياسمينا ...

من شقوق الأرض الخرابِ

طلعتُم

وزرعتُم جراحنا

نسرينا ..

هذه ثورة الدفاتر ..

والحبر ..

فَكُونُوا على الشفاهِ

لُحُونًا ..



أَمْطِرُونَا ..
بطولةً ، وشمُوخاً
وَأَغْسِلُونَا مِنْ قُبْحِنَا
إِغْسِلُونَا ..

لَا تَخَافُوا مُوسَى ..
وَلَا سِحْرَ مُوسَى ..
وَاسْتَعِدُّوا
لِتَقْطِفُوا الزَّيْتُونََا

إِنَّ هَذَا الْعَصْرَ الْيَهُودِيَّ
وَهُمْ ..
سَوْفَ يَنْهَارُ ..
لَوْ مَلَكْنَا الْيَقِينََا ...



يا مجانيين غزّة ..

ألف أهلاً ...

بالمجانيين ،

إنّ همّ حرّرونا

إنّ عصرَ العقل السياسيّ ..

ولّى من زمانٍ ...

فعلّمونا الجُنونا ...

دکتوراه شرف
فی کیمیا، المحجّر

يرمي حَجَرًا ..

أو حَجَرِينَ .

يقطعُ أفعى إسرائيلَ إلى نَصْفَيْنِ .

يمضغُ لَحْمَ الدَّبَّابَاتِ ،

ويأتينا . .

من غيرِ يَدَيْنِ .

في لَحَظَاتٍ ..
تظهرُ أرضٌ فوق الغَيْمِ ،
ويولدُ وَطَنٌ في العَيْنَيْنِ .

في لَحَظَاتٍ ..
تظهرُ حيفا .
تظهرُ يافا .
تأتي غَزَّةُ في أمواج البحرِ .
تُضيءُ القُدْسُ ،
كمِئذَنَةٍ بين الشَفَتَيْنِ ..



يرسمُ فرساً ..
 من يافوت الفجر ..
 ويدخلُ ..
 كالإسكندر ذي القرنين .
 يخلعُ أبوابَ التاريخ ،
 ويُنهى عصرَ الحشَّاشين ،
 ويُقفِلُ سوقَ القَوَّادين ،
 ويقطعُ أيدي المرتزقين ،
 ويلقي تَرْكَةَ أهلِ الكَهْفِ ،
 عن الكتفينِ ...

في لَحَظَاتٍ . .
تحبُّ أشجارُ الزيتونِ ،
يَدُرُّ حليبٌ في الثديينِ . .
يرسُمُ أرضاً في طَبْرِيَا
يزرعُ فيها سُنبُلَتَيْنِ
يرسُمُ بيتاً فوق الكرْمِلِ ،
يرسُمُ أمّاً . . تطحنُ بُناً عند البابِ ،
وفنجانينِ . . .
في لَحَظَاتٍ . . تهجمُ رائحةُ الليمونِ ،
ويُولَدُ وطنٌ في العينينِ

يرمي قَمَرًا من عَيْنَيْهِ السَّودَاوَيْنِ ،
وقد يرمي قَمَرَيْنِ . .

يرمي قَلَمًا .

يرمي كُتُبًا .

يرمي جَبْرًا .

يرمي صَمْغًا .

يرمي كَرَّاسَاتِ الرِّسْمِ ،

وَفُرْشَاةَ الْأَلْوَانِ

تَصْرُخُ مَرِيْمُ : « يَا وَلَدَاهُ . . » .

وَتَأْخُذُهُ بَيْنَ الْأَحْضَانِ .

يَسْقُطُ وَلَدٌ .

فِي لَحَظَاتٍ . .

يُولَدُ آلاَفُ الصِّبْيَانِ

يُكْسَفُ قَمَرٌ غَزَاوِي

فِي لَحَظَاتٍ . . .

يَطْلُعُ قَمَرٌ مِنْ بَيْسَانَ

يَدْخُلُ وَطَنٌ لِلزَّنَزَانَةِ ،

يُولَدُ وَطَنٌ فِي الْعَيْنَيْنِ . .

يَنْفُضُ عَنْ نَعْلَيْهِ الرَّمْلَ . .
 وَيَدْخُلُ فِي مَمْلَكَةِ الْمَاءِ .
 يَفْتَحُ أَفْقًا آخَرَ .
 يُبْدِعُ زَمَنًا آخَرَ .
 يَكْتُبُ نَصًّا آخَرَ .
 يَكْسِرُ ذَاكِرَةَ الصَّحْرَاءِ .
 يَقْتُلُ لُغَةً مُسْتَهْلَكَةً
 مِنْذُ الْهَمْزَةِ . . حَتَّى الْيَاءِ . .
 يَفْتَحُ ثَقْبًا فِي الْقَامُوسِ ،
 وَيَعْلَنُ مَوْتَ النَّحْوِ . . وَمَوْتَ الصَّرْفِ . .
 وَمَوْتَ قِصَائِدِنَا الْعِصْمَاءِ . .



يرمي حَجَرًا .
 يبدأ وجهه فلسطين
 يَتَشَكَّلُ مِثْلَ قَصِيدَةِ شِعْرِ . .
 يرمي الحَجَرَ الثاني
 تطفو عكًا فوق الماء قصيدة شِعْرُ
 يرمي الحَجَرَ الثالث
 تطلع رَامَ الله بِنَفْسَجَةٍ من ليل القهر
 يرمي الحَجَرَ العاشر
 حتى يظهر وجهه الله . .
 ويظهر نورُ الفجر . .



يرمي حَجَرَ الثَّورَةِ
حَتَّى يَسْقُطَ آخِرُ فَاشِئْتِي
مَنْ فَاشِئْتَ الْعَصْرُ

يرمي ..

يرمي ..

يرمي ..

حَتَّى يَقْلَعَ نَجْمَةُ دَاوُودَ
بِيَدَيْهِ ،

وَيَرْمِيهَا فِي الْبَحْرِ ..



تَسْأَلُ عَنْهُ الصُّحُفُ الْكُبْرَى :

أَيُّ نَبِيٍّ هَذَا الْقَادِمُ مِنْ كِنْعَانُ ؟

أَيُّ صَبِيٍّ ؟

هَذَا الْخَارِجُ مِنْ رَجِمِ الْأَحْزَانِ ؟

أَيُّ نَبَاتٍ أَسْطُورِيٍّ ؟

هَذَا الطَّالِعُ مِنْ بَيْنِ الْجَدْرَانِ ؟

أَيُّ نُهُورٍ مِنْ يَأْقُوتٍ ؟

فَاضَتْ مِنْ وَرَقِ الْقُرْآنِ . ؟

يسألُ عنه العرَّافون .
ويسألُ عنه الصوفيُّون .
ويسألُ عنه البُوذِيُّونَ .
ويسألُ عنه ملوكُ الإنسِ ،
ويسألُ عنه ملوكُ الجنِّ .
مَنْ هُوَ هَذَا الْوَلَدُ الطَّالِعُ
مِثْلَ الْخَوْخِ الْأَحْمَرِ . .
مَنْ شَجَرُ النِّسْيَانِ ؟

مَنْ هُوَ هَذَا الْوَلَدُ الطَّافِشُ
مَنْ صُورَ الْأَجْدَادِ . .
وَمَنْ كَذِبَ الْأَحْفَادِ . .
وَمَنْ سِرُّوَالِ بَنِي قَحْطَانَ ؟
مَنْ هُوَ هَذَا الْوَلَدُ الْبَاحِثُ
عَنْ أَزْهَارِ الْحُبِّ . .
وَعَنْ شَمْسِ الْإِنْسَانِ ؟
مَنْ هُوَ هَذَا الْوَلَدُ الْمَشْتَعِلُ الْعَيْنَيْنِ . .
كَالْهَةِ الْيُونَانِ ؟



يسألُ عنه المضطَّهَدُونَ .
 ويسألُ عنه المَقْمُوعُونَ .
 ويسألُ عنه المنفيُّونَ .
 وتسألُ عنه عصافيرُ خَلْفَ القُضْبَانِ .
 مَنْ هُوَ هذا الآتي ..
 من أوجاعِ الشَّمْعِ ..
 ومن كُتُبِ الرُّهْبَانِ ؟

من هو هذا الولد
التَّبدُّأُ في عَيْنَيْهِ . .
بداياتُ الأكوان ؟
مَنْ هُوَ ؟
هذا الولدُ الزارعُ
قَمَحَ الثَّورَةِ . . .
في كُلِّ مكانٍ ؟؟

يَكْتُبُ عَنْهُ الْقَصَصِيُّونَ ،
 وَيُرَوِّي قِصَّتَهُ الرُّكْبَانُ .
 مَنْ هُوَ هَذَا الطِّفْلُ الْهَارِبُ مِنْ شَلْلِ الْأَطْفَالِ ،
 وَمَنْ سُوسِ الْكَلِمَاتِ ؟
 مَنْ هُوَ ؟
 هَذَا الطَّافِشُ مِنْ مَزْبَلَةِ الصَّبْرِ . .
 وَمِنْ لُغَةِ الْأَمْوَاتِ ؟ . .
 تَسْأَلُ صُحُفُ الْعَالَمِ ،
 كَيْفَ صَبِيٍّ مِثْلَ الْوَرْدَةِ . . .
 يَمْحُو الْعَالَمَ بِالْمِمْحَاةِ ؟ ؟ .

تَسْأَلُ صُحُفٌ مِنْ أَمْرِيكَ
كَيْفَ صَبِيٍّ غَزَّائِيٍّ ،
حِيفَاوِيٍّ ،
عَكَّاوِيٍّ ،
نَابُلْسِيٍّ ،
يَقْلُبُ شَاحِنَةَ التَّارِيخِ ،
وَيَكْسِرُ بَلَّلُورَ التَّوْرَةِ ؟؟ . . .

منشورات نزار فتبايني
بيروت - لبنان
ص ٦٢٥٠



منشورات نزار فتباي
بيروت - لبنان
مرب ٦٢٥٠